فقهٌ عجيب

تفاجأتُ بكثيرٍ من أدعياء العلم وأنصاف المتعلمين يعتقدون أنَّ الجهاد ضرورةٌ في زمن القوة فقط، ويُنَظِّرون لهذه الفكرة، ويؤلفون كتباً في ذلك... ووددتُ لو صرختُ فيهم قائلاً: الجهاد أوجب في زمن الضعف منه في زمن القوة ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [الحديد: 14]، وأصرح دليلٍ على ذلك هو أول آيةٍ نزلت في الجهاد ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: 39-40]، فهؤلاءِ بنَصِّ الآية ضعفاء مظلومون نازحون، ولذلك أمرهم الله وأذن لهم بالجهاد.

بقاء جذوة الجهاد

ظلَّ المسلمون يقاتلون الصليبيين سبعاً وأربعين سنةً بالجماعات الصغيرة والشكل المتناثر قبل بداية التوحد تحت آل زنكي.

وهكذا حالنا الآن جماعاتٌ حارثةٌ تقاتل الباطل هنا وهناك، وستمتد الأمور هكذا حتى قيامةٍ للأمة تتوحَّد فيها تحت رايةٍ واحدة تقاتل الباطل وتُزهقه... لذا هذه العصابات والعصيبات هي ضمان بقاء جذوة الجهاد، وهي طريق التوحد والفتح المبين، فلا تُقلِّلوا من شأنها وهمِّتها، وفي ظل هذا المعنى نفهم ما رواه الإمام مسلم بسنده عن النبي ﷺ أنه قال: (عُصَيْبَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَفْتَتِحُونَ الْبَيْتَ الْأَبْيَضَ)[1].

(1) صحيح مسلم، حديث رقم 1822.